الفصل الخامس

تصاعد الضغط الأوربى

والتغلغل الاستعمارى فى العالم العربى

- الثورة العرابية فى مصر
- الثورة المهدية فى السودان
- الاحتلال الفرنسى للجزائر
- الاحتلال الفرنسى لتونس
- الأطماع الاستعمارية فى مراكش
- استيلاء ايطاليا على ليبيا
- سيطرة بريطانيا على امارات الخليج وعدن وتسلطها على العراق
- الفتن الطائفية فى لبنان

خضعت البلدان العربية خاصة فى القرن التاسع عشر للاستعمار الأوربى فمنها من خضع لبريطانيا مثل مصر والسودان والعراق وفلسطين ومشيخات الخليج العربى ، ومنها من خضع لفرنسا مثل الجزائر وتونس والمغرب وسورية ولبنان، ومنها ما خضع للاستعمار الايطالى مثل ليبيا .

والواقع أن الشعوب العربية فى هذه البلدان عملت جاهدة على اخراج المستعمر من بلادها والصمود أمام كافة تحدياته وفيما يلى نعرض لتصاعد الضغوط الأوربية على البلدان العربية، وتصاعد حركات المقاومة ضدها فنعرض للثورة العرابية فى مصر ، والثورة المهدية فى السودان، ووقوع الجزائر وتونس والمغرب فى قبضة الاستعمار الفرنسى وليبيا فى قبضة الاستعمار الايطالى، وسيطرة بريطانيا على امارات الخليج، وعدن وتسلطها على العراق، والفتن الطائفية التى ساعد الاستعمار على اشعالها فى لبنان، وفيما يلى نعرض لذلك .

الثورة العرابية :

حركة وطنية ووثبة من وثبات التحرر حاول المصريون ،خلالها الدفاع عن حقوقهم وسط مؤامرة استعمارية كانت تخطو سريعا بهدف التهام مصر وعن احداث هذه الثورة نذكر :

حادث قصر النيل (فبراير ١٨٨١) :

ولما كانت الفروق الطبقية والميل إلى التعصب الجنسى واضحين فى صفوف الجيش نظرا لتعصب عثمان رفقى ناظر الجهادية لأبناء جلدته من الشراكسة، واستخفافه بالعنصر الوطنى فكانت الوظائف الهامة والرتب والنياشين تعطى للضباط الشراكسة وغيرهم بينما حرم منها الضباط المصريون كما أن عثمان رفقى أخرج معظم الضباط المصريين فى الجيش إلى المعاش قبل السن القانونى، كما كلف بعضهم بأعمال بعيدة عن الجندية مثل حفر الترع، ومباشرة الأعمال الزراعية فى أراضى الخديو يضاف إلى ذلك أنه سن قانون للقرعة العسكرية يمنع بمقتضاه الترقى من تحت السلاح إلى رتبة الضباط مما يعوق ترقى الجنود المصريين العاملين فى الآليات تحت السلاح، ويجعلهم انفارا تحت تسلط الضباط من الأتراك والشراكسة .

وقد دفعت كل هذه المظالم الضباط الوطنيين إلى التذمر فكتبوا عريضة وقعوا عليها وسلمها أحمد عرابى وعبد العال حشيش الى رياض باشا رئيس مجلس النظار فى يناير ١٨٨١ يطالبون فيها بوقف

المحسوبية والظلم، وأن يكون وزير الحربية مصريا. ولما أحس رياض بخطورة الموقف قام باستدعاء عرابى وعبد العال حشيش وعلى فهمى وأخذ فى توجيه النصائح لهم موضحا خطورة ما يترتب عليه عرض شكواهم من مخاطر، ولكن الضباط تمسكوا بموقفهم فعرض رياض باشا المسألة على مجلس النظار الذى عقد بقصر عابدين تحت رئاسة الخديو، فقرر المجلس القبض على الضباط الثلاثه واحالتهم الى مجلس عسكرى يشكل لمحاكمتهم بمقتضى القوانين العسكرية [1] ، واخفى الأمر على الضباط .

ولما استدعى الضباط الثلاثه لوزارة الحربية بحجة المداولة فى بعض الترتيبات التى كانت تعد لموكب كان سيصاحب احدى الأميرات بمناسبة زواجها أحسوا بأن هناك مكيدة مبيته لهم، فأخذوا حذرهم، وقبل انتقالهم الى الوزارة تركوا تعليمات لضباطهم بالتوجه الى مقر الوزارة لانقاذهم إذا لم يعودوا فى ظرف ساعتين وقد تحقق ما توقعه القادة الثلاثة فعند وصولهم الى مبنى الوزارة تم اعتقالهم، ثم انعقد مجلس فى وزارة الحربية لمحاكمتهم، وبينما كانت جلسة المحاكمة منعقدة اقتحمت الفرقة الأولى مشاة بقيادة البكباشى محمد عبيد مبنى الوزارة وأحدثوا فيها ضجة، ودخلوا الحجرة التى كانت تجرى فيها المحاكمة، وعاملوا عثمان رفقى وزير الحربية معاملة سيئة وكادوا يفتكون به لولا أنه هرب، ثم ساروا بعد ذلك فى مظاهرة عسكرية إلى قصر الخديوى مطالبين بعزل وزير الحربية، والنظر فى شكواهم الخاصة بوضعهم على قدم المساواة مع الضباط الشراكسة فى الترقية، ولما أحس الخديو بعدم جدوى المقاومة رضخ للأمر الواقع وعزل عثمان رفقى وبذلك نجح العرابيون فى فرض ارادتهم، وتأكدت زعامة عرابى على الجيش .

ولما كان الشعب المصرى يرزح تحت المظالم فقد بارك حركة الضباط حيث وجد فيها تنفيسا عن آلامه .

مظاهرة عابدين (٩سبتمبر ١٨٨١) والتطورات التى اعقبتها :

لما برزت خطورة العرابيين، حاول الخديو تشتيت شملهم بنقلهم خارج القاهرة، مما جعل عرابى يتوقف عن اطاعة الأوامر، ويعلن حشد قواته فى ميدان عابدين .

وقد تجمعت قوات العرابيين فى ميدان عابدين فى مظاهرة عسكرية، ونزل اليهم الخديوى الذى سأل عرابى عن أسباب حضوره بالجيش، فاجاب عرابى بأنه جاء بقواته ليعرض مطالب الجيش والشعب التى تنحصر فى عزل وزارة رياض، وتشكيل مجلس للنواب، وزيادة عدد الجيش طبقا للقدر المعين فى الفرمانات السلطانية .

ولما أوضح الخديوى لعرابى أن مطالبه ليست من اختصاص الجيش كان رد عرابى انه ينطق باسم الأمة المصرية كلها .

ولما تحرج الموقف بالنسبة للخديوى خاصة بعد أن رفض عرابى أن تترك قواته ساحة عابدين إلا بعد أن تجاب مطالبه وافق على تغيير الوزارة فتم عزل رياض باشا وعين مكانه شريف باشا، وهكذا سار العرابيون من نصر إلى نصر .

وفى اعقاب ذلك تمت انتخابات مجلس النواب وعين سلطان باشا رئيسا للمجلس، كما سارت وزارة شريف تؤدى وظيفتها بطريقة ديمقراطية وكادت تستقر لها الأمور لولا تدخل انجلترا وفرنسا لافساد الموقف وافتعال الأزمات. فلما اجتمع مجلس النواب طلب المراقبان الماليان الحد من سلطة المجلس فى

---

[1] دار الوثائق: أوراق الحضرة الخديوية بصدد الثورة العرابية .صورة خطاب من رئيس النظار إلى القائد العام فى ٣٠يناير ١٨٨١.

اقرار الميزانية.ولبث روح الشقاق بين البرلمان والخديوى أرسلت كل من انجلترا وفرنسا فى ٧يناير ١٨٨٢ مذكرة مشتركة إلى الخديوى تتضمن تأييد الدولتين له بكل الوسائل للتغلب على الصعوبات التى تواجهه ومع ان الحكومة رفضت المذكرة فقد قبلها الخديوى بالشكر والعرفان ولما أحس شريف باشا بخطورة الموقف تقدم بقانون يتضمن منع النواب من الاشراف على الميزانية مما أثار ثائرة أعضاء المجلس فرفضوا القانون وأصروا على ضرورة اشراف المجلس على الميزانية، وعزل شريف باشا إذا لم يوافق على ذلك وانتهى الأمر باستقالة شريف باشا وانتقال مقاليد الأمور إلى العسكريين، وتولى محمود سامى البارودى رئاسة مجلس النظار وخلال ذلك اشتدت الأزمة بين العرابيين والخديوى خاصة بعد مؤامرة الجراكسة ورفض الخديو التصديق على الاحكام الصادرة ضدهم .

العرابيون والتدخل الاجنبى :

وقد سارت الأمور بما لا يعطى مجالا لأى تدخل أجنبى، وضمن عرابى مسئولية حفظ النظام وصيانة الأمن ولكن انجلترا وفرنسا ما ان وصلت اساطيلهما الحربية إلى الاسكندرية حتى تقدمتا بمذكرة مشتركة اخرى فى ٨٢/٥/٢٥ تطلبان فيها اسقاط وزارة البارودى، وابعاد عرابى من مصر وتحديد اقامة على فهمى وعبد العال حلمى فى الريف .

أن وزارة البارودى قد رفضت هذه المذكرة فقد وافق عليها الخديو، ونتيجة لذلك قدمت الوزارة استقالتها ونظرا للضغوط المتوالية من جانب العسكريين ظل عرابى ناظرا للجهادية .

وخلال ذلك الموقف المتوتر أرسلت الدولة العثمانية بعثة لتقصى الحقائق بقيادة "درويش باشا" فى محاولة منها لتثبيت السيادة التركية على مصر، وكانت خطة درويش الاستفادة من الخلاف بين الخديو والعرابيين .

وفى محاولة من الخديوى لاحراج مركز العرابيين حاول اثبات عدم قدرتهم على حماية أرواح الاجانب فسعى إلى أحداث شغب فى القاهرة ولما فشل فى ذلك تم تدبير مذبحة الاسكندرية التى بدأت حوادثها يوم الأحد ١١ يونيو ١٨٨٢ على أثر مشاجرة فردية بين مالطى من اتباع الانجليز وبين مكارى مصرى بسبب الخلاف على أجر حماركان الأول قد أستاجره من الثانى ، وتطور الأمر بينهما إلى حد قيام المالطى بطعن المصرى بسكين [1] فجرحه وفى أثر ذلك كثرت الغوغاء واشتعل الموقف وتطور الأمر إلى حد ضرب بعض الأجانب للأهالى بالرصاص وامتداد المشاجرات فى الثغر كله واستمر القتال نحو خمس ساعات لم يستطع أحد خلالها السيطرة على زمامه إلا بعد تدخل القوات العسكرية المرسلة بأمر عرابى .

ومهما كان الأمر فان ماحدث قد أعطى الفرصة للانجليز لاتخاذ هذه الاحداث ذريعة للتدخل المباشر بحجة عجز العرابيين عن حماية أرواح الرعايا والقناصل الأجانب فى مصر .

وفى يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ بدأ الاسطول الانجليزى فى ضرب الاسكندرية ، وقد صمدت القوات المصرية أمام قذائفه لفترة ، ولكن ضعف المدفعية المصرية وقدمها لم يحقق لهم الاستمرار فى الصمود والقتال . ونزلت القوات الانجليزية إلى الاسكندرية واظهر الخديوى انحيازه لها ووضع نفسه تحت حمايتها مما دفع بالعرابيين إلى الانسحاب منها ، وفى اعقاب ذلك تم احراقها .

ونتيجة لتطور الاحداث ، واتضاح موقف الخديوى المؤيد للانجليز دعا عرابى إلى عقد جمعية عمومية من كافة طوائف البلاد ليعرض عليهم الموقف وعقدت الجمعية العمومية اجتماعها فى

---

[1] الوقائع المصرية فى ١٣ يونيو ١٨٨٢.

١٨٨٢/٧/١٧ وكان أهم قراراتها الاستمرار فى قتال الانجليز .

وفى ٢٠ يوليو ١٨٨٢ أعلن الخديو عصيان عرابى وأصدر أمرا بعزله من منصبه ، وقد رفضت الجمعية العمومية هذا القرار واصرت على ابقاء عرابى على راس نظارة الجهادية .

وفى وسط هذا الجو من الانقسام بين العرابيين والخديو نشبت الحرب مع الانجليز ، وأحكم عرابى تحصين مواقعه فى كفر الدوار ، مما اضطر الانجليز إلى نقل عملياتهم الحربية إلى منطقة قناة السويس .وخلال ذلك استطاعت انجلترا تغيير ميزان المعركة بضغطها على السلطان حتى تم اصدار منشور بعصيان عرابى ، وانتهى الأمر بهزيمة العرابيين فى التل الكبير ودخول الانجليز إلى القاهرة فى ١٥ سبتمبر ١٨٨٢.

وهكذا انتكست اعلام الثورة العرابية التى قامت من أجل الدفاع عن شرف البلاد وكرامتها ضد الظلم الداخلى والتدخل الخارجى وأحس الشعب المصرى بمرارة الهزيمة ، ولكنه سرعان ماالتقط انفاسه فانتقلت الشعلة من جيل الثورة العرابية إلى الجيل الذى حمل الراية بعدها بزعامة مصطفى كامل .

الحركة المهدية فى السودان :

تزعمها محمد أحمد المهدى ، الذى نادى بالزهد فى الدنيا والعمل للآخرة ، والجهاد فى سبيل الله ، والعمل على اصلاح أحوال المسلمين داخل السودان وخارجه والعودة بالتشريع الاسلامى إلى عهود عصر الاجتهاد الأول قبيل افتراق الكلمة وظهور المذاهب الأربعة كما دعا إلى ضرورة ربط السياسة بالدين وقد أخذ المهدى فى نشر دعوته سرا فى عام ١٨٨٠ واتخذ من مدينة آبا البعيدة عن السلطة الحكومية فى الخرطوم مركزا لانطلاق دعوته حتى يتهيأ له المناخ المناسب هناك ، ويتمكن من عدم منأواة الحكومة له ولما كثر اتباعه وبزغ نجمه جهر بدعوته ، وتحمس له انصاره ، وتسابقوا فى تنفيذ تعليماته .

وقد استغل المهدى تلك الحماسة الدينية من انصاره وضيقهم من سوء الادارة المصرية التى سيطرت عليهم فترة طويلة [١] فنادى بضرورة اخراج الاوربيين والمصريين من السودان ، والامتناع عن دفع أى ضريبة للحكومة ، وتوزيع الثروة على الأهالى بالتساوى [٢] .

ولما وصلت أبناء هذه الحركة إلى القوات المصرية العثمانية المتمركزة فى السودان ، أرسلت قوة للقبض على المهدى ولكنه استطاع الفتك بها ، والقضاء على معظم أفرادها مما زاد من شأنه ، يضاف إلى ذلك أنه تمكن من الانتصار على القوات الحكومية وقتل قائدها والاستيلاء على اسلحتها ، مما قلل من شأن الحكومة ، وجعل الأهالى ينظرون إلى المهدى وكأنه المنقذ والمخلص لهم [٣] .

ونظرا لخطورة الموقف عينت الحكومة المصرية " عبد القادر باشا حلمى " ناظرا على السودان وملحقاته وطالبته بتوحيد الادارة فى السودان ومواجهة اتباع المهدى وبالفعل استطاع اخماد الثورة فى منطقة سنار والجزيرة وبدأ يضيق على المهدى المسالك ، ولكن المقام لم يطل به فى السودان حيث صدرت الأوامر باستدعائه نتيجة للضغوط الانجليزية على الخديو فغادر الخرطوم إلى القاهرة فى أواخر ابريل ١٨٨٣ . وفى اعقاب ذلك تمكن المهدى من الاستيلاء على كردفان واستسلام عاصمتها الأبيض

---

[١] Cromer : Moderm Egypt p. ٢٧٦.

[٢] محمد فؤاد شكرى : مصر والسودان – تاريخ وحدة وادى النيل السياسية فى القرن التاسع عشر ص ٢٩٠.

[٣] الرافعى : مصر والسودان فى أوائل عهد الاحتلال القاهرة ١٩٦٦ ص ١١٩ .

لاتباعه ، ثم الاستيلاء على دارفور وهزيمة قوات الحكومة بقيادة الجنرال الانجليزى Hicks والقضاء على معظم أفرادها ، وهزيمتهم أيضا لحملة بيكر .

وخلال تلك الفترة كانت مصر قد سقطت تحت براثن الاحتلال البريطانى ، واجبرت على الخروج من السودان ، وتولى ادارته القائد الانجليزى غوردون الذى تمكن اتباع المهدى من محاصرته وقتله والاستيلاء على الخرطوم فى يناير ١٨٨٥ مما زاد من صيت المهدى ، وصار يعرف بالمهدى المنتظر [١] منذ ذلك الحين .

واستمر نفوذ المهدى فى الاتساع حتى وافته المنية وتولى عبدالله التعايشى زعامة الحركة مكانه ، وكان من أبرز ماقام به التعايشى هو أصدار أوامره إلى قواته بغزو مصر وتخليصها من الانجليز ، ولكن محاولته باءت بالفشل .

ونتيجة لما حدث قررت انجلترا ارسال حملة مصرية انجليزية مشتركة لاسترجاع السودان فى عام ١٨٩٦م تحت قيادة الجنرال كتشنر . وقد نجحت هذه الحملة فى احتلال دنقلة ، وهزيمة التعايشى فى عام ١٨٨٩ واعلان الحكم الثنائى الانجليزى المصرى على السودان [٢] .

وعند تقييمنا للحركة المهدية يتضح انها كانت حركة سياسية ودينية معا هدفت إلى تحرير السودان من ربقة الحكم الاجنبى ، وايجاد كيان خاص للسودان كما أنها عملت على اصلاح أمور الدين من الشوائب التى لحقته ، ومما يؤخذ عليها مصاحبتها لنزعة شديدة من التصوف ، والادعاء بفكرة المهدى المنتظر مما أدى بها إلى الخروج عما كان يؤمل منها .

وقد انتهزت الدول الاستعمارية هزيمة اتباع المهدى وبدأت فى تحقيق أطماعها فى السودان الشرقى وشرق افريقية ، وكان لبريطانيا وايطاليا نصيب الأسد من أملاك هذه البلاد المغلوبة على أمرها..

الاحتلال الفرنسى للجزائر :

نتيجة لعلاقات الصداقة بين الدولة العثمانية وفرنسا التى ازدهرت على عهد سليمان القانونى توطدت علاقات الجزائر بفرنسا حيث تحالف " خير الدين بربروس " معها فى عام ١٥٤٣ أثناء محاصرة قلعة نيس Nice التى كان يحتلها الاسبان .

ونتيجة لتطور هذه العلاقات قامت فرنسا بتعيين قنصل لها فى الجزائر ، كما حصلت على تصريح باستخراج المرجان من سواحل الجزائر الشرقية .

وظلت العلاقات بين فرنسا والجزائر تتوتر احيانا وتتحسن فى أحيان اخرى حتى جاء الاحتلال الفرنسى لمصر فى عام ١٧٩٨ فكشرت الجزائر عن انيابها وقطع والى الجزائر علاقاته بفرنسا واعلن الحرب عليها [٣] واستمرت الامور على هذا المنوال حتى تصالحت الدولة العثمانية مع فرنسا فى عام ١٨٠١ فأعاد أوجاق الجزائر علاقاته السلمية مع فرنسا ، ثم توترت هذه العلاقات فى عهد الامبراطورية النابليونية بعد أن فكر نابليون فى الاستيلاء على الجزائر خاصة بعد أن تقرب واليها من انجلترا فى أعقاب معركة الطرف الآغر فى عام ١٨٠٥ ولكن مشاغله الأوربية حالت دون ذلك وبعد هزيمة نابليون وعودة الملكية إلى فرنسا تحسنت علاقات فرنسا باوجاق الجزائر الذى كان يؤمن احتياجاتها من القمح .

---

[١] كذب الازهر ذلك الادعاء ونفى صحته أنظر . محمد عزة دروزة : نشأة الحركة العربية الحديثة ص ٨٠ - ٨٣.

[٢] شكرى وآخرون : وثائق التاريخ الحديث والمعاصر انظر الاتفاقية الخاصة بالحكم الثنائى للسودان .

[٣] ارجمند كوران : السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسى للجزائر - ترجمة عبد الجليل التميمى ، تونس ١٩٧٤ ص ١٨-١٩ .

ومما لاشك فيه أن ثروة الجزائر الاقتصادية ، وموقعها الجغرافى المتميز كانا من أبرز الأسباب التى أدت إلى تزايد أطماع فرنسا فيها خاصة وأنها كانت ترغب فى اعادة تكوين امبراطوريتها مرة أخرى بعد فقدانها لها فى الحروب النابليونية هذا إلى جانب أن ظروف فرنسا الداخلية كانت تدفعها إلى المغامرة خارج حدودها خاصة وانها كانت تعانى من ضائقة اقتصادية شديدة دفعتها إلى طلب العون الاقتصادى من الجزائر، ولما كان التجار اليهود يقومون بدور الوساطة فى هذه المسألة ، فقد توسط تاجرين من اليهود فى عملية شراء الحبوب من الجزائر باثمان مؤجلة ولما حانت مواعيد السداد تلكأت فرنسا فى الدفع متذرعة بأن الاثمان التى بيعت بها هذه الحبوب مبالغ فيها ، وأن التاجرين اليهوديين كانت عليهم ديون لمواطنين فرنسيين التجأوا إلى المحكمة ، ومدعية فى أحيان أخرى بأنها لم تتسلم هذه البضائع ونتيجة لذلك قام حسين باشا داى الجزائربارسال عدة رسائل إلى الحكومة الفرنسية بشأن ضرورة تسديد الدين ، ولكن فرنسا أستخدمت أسلوب الصمت والمماطلة مما ضايق الداى وجعله يتشكك فى النوايا الفرنسية بشأن تسديد الديون .

وفى ٢٩ من ابريل ١٨٢٧ انتهز الداى فرصة تهنئة القنصل الفرنسى " دوفال " له بمناسبة عيد الفطر فسأله عن السبب الذى جعل الحكومة الفرنسية لاتأبه بالرد على رسائله ، فكان رد القنصل مثيرا لحفيظة الداى ، وبعيدا عن اللياقة والدبلوماسية حيث قال له " ان ملك فرنسا وشعبها لايحرران لك ورقة ، ولايرسلان ردا حتى على رسائلك المرسلة [1] .

ونتيجة لهذا الرد غير المتوقع نهض الداى من مكانه محتدا وصرخ فى وجه القنصل وضربه بالمروحة التى كانت فى يده أكثر من مرة ، ملوحا له بالخروج من مجلسه.

ولما أبرق القنصل افرنسى لحكومته بما حدث ثارت ثائرة الحكومة الفرنسية ، وتوعدت على اعتبار ان ماحدث يعد اهانة لفرنسا وشعبها ، كما ثار الرأى العام الفرنسى مطالبا بترضية عاجلة من داى الجزائر كما طالبه بدفع تعويضات عن الاضرار التى لحقت بالسفن الفرنسية من قراصنة البحر الجزائريين

ولما رفض الداى تقديم هذه الترضية اعتبرت فرنسا نفسها فى حالة حرب مع الجزائر ، وهددت بالانتقام المسلح ، وبدأت فى محاصرة السواحل الجزائرية .

ونظراً لأن فرنسا كانت تقدر مدى الاخطار التى يمكن أن تواجه قواتها أثناء دخولها فى حرب مع الجزائر فقد فتحت باب المفاوضات مع الداى أكثر من مرة على أمل ان يتقدم باعتذار يخفف من غضب الشعب الفرنسى ، وأن يتخلى عن ديون فرنسا لبلاده ، ولكن الداى اصر على عدم الاعتذار وتمسك بموقفه مما زاد من توتر الموقف وجعل فرنسا تتصنع الأسباب لاحتلال الجزائر .

ولما حاولت الدولةالعثمانية التدخل للحيلولة دون نشوب هذه الحرب طلبت فرنسا الحصول على ترضية مناسبة نتيجة لما لحقها من اهانات فى شخص قنصلها بالجزائر ، والمحت إلى موافقتها على حق الباب العالى فى تأديب اوجاق الجزائر وذلك عن طريق قيام محمد على والى مصر بحملة تأديبية إلى هناك يوافق عليها السلطان على اعتبار أن حاكم الجزائر من العصاة ، كما اعربت عن استعداد الأسطول الفرنسى لمساعدة قوات محمد على ، وهددت بغزو الجزائر إذا رفض السلطان طلبها .

وقد رفض السلطان محمود الثانى فكرة تدخل والى مصر فى الجزائر ، وأمر خسرو باشا وزير البحرية ورئيس الكتاب السلطانى ببحث هذه المسألة ، كما قرر ايفاد القائد العثمانى طاهر باشا لنصح والى

---

[1] كوران : مرجع سابق ص ١١- ١٢.

الجزائر بالعدول عن موقفه المعادى لفرنسا .

ونتيجة لاعتراض فرنسا على ذلك اتصلت بمحمد على والى مصر طالبة منه ارسال قواته لتأديب حاكم الجزائر .

والسؤال الذى يطرح نفسه هو لماذا اختارت فرنسا محمد على بالذات لهذه المهمة ؟

الواقع أن محمد على كان يملك جيشا قويا مدربا على الأسلحة الحديثة ، هذا إلى جانب أنه كان على صلات طيبة بفرنسا .

وقد حاول محمد على فى بداية الأمر الوساطة بين فرنسا والجزائر لاصلاح ذات البين بينهما فأرسل بكتاب إلى داى الجزائر يحذره وينصحه فى آن واحد بوخامة العواقب إذا أصرعلى رفض الجهود السلمية ، ولكن رد الرداى على هذه الرسالة لم يكن مشجعا ، مما جعل محمد على يفكر فى حسم الموقف عسكريا والزحف بقواته لاخضاع الداى وضم طرابلس وتونس والجزائر إلى أملاكه باسم السلطان [1] وقد فشلت هذه الفكرة لعدة أسباب منها :-

١- ان الدولة العثمانية كانت ترفض امتداد نفوذ محمد على إلى طرابلس وتونس والجزائر .

٢- أن بريطانيا كانت تخشى توسيع نفوذ محمد على خاصة وأنه كان يميل بجانبه نحو فرنسا أكثر من بريطانيا .

٣- تردد محمد على فى محاربة احدى البلدان الاسلامية حتى لايفقد ثقة العالم الاسلامى .

٤- اختلاف محمد على مع فرنسا حول المبلغ الذى يمكنه الحصول عليه بعد استيلائه على الجزائر ، حيث عرضت عليه فرنسا مبلغ عشرة ملايين فرنك فى حين أنه كان يطالب بعشرين مليون فرنك.

ونتيجة لكل ذلك فشل المشروع ، وبدأت فرنسا تفكر جديا فى احتلال الجزائر . فجمع الملك شارل العاشر مجلس الوزراء الفرنسى لهذا الغرض وقرر فى جلسته المنعقدة فى ١٣ شعبان ١٢٤٥هـ / ١٨٣٠م ضرورة الاستيلاء على الجزائر وضمها إلى فرنسا [2] ونتيجة لذلك جهزت حملة قوامها ٣٧ الف مقاتل بقيادة الكونت بورمن Bourmont وزير الحربية فى ٢٥ مايو ١٨٣٠م واستطاعت انزال قواتها على السواحل الجزائرية ، والوصول إلى الخليج الغربى لشبه جزيرة سيدى فرج ، والاقتراب إلى مسافة ٢٥ كيلو من مدينة الجزائر . وعندئذ أخذ الداى فى الاستعداد لمقاومة الفرنسيين .

كما أظهر الشعب الجزائرى تضامنا كاملا معه ، وحدثت عدة اشتباكات انتهت بالقضاء على المقاومة وتسليم الداى نفسه ، واحتلال الفرنسيين مدينة الجزائر فى الخامس من يوليو ١٨٣٠ ، واستمرار زحفهم والوصول إلى قسطنطينة وعنابة وغيرها .

وفى اعقاب ذلك أبلغ السفير الفرنسى الباب العالى بأن الجزائر أصبحت تحت سيطرة فرنسا ، وأن شروط بلاده للجلاء عنها أحد عشر شرطا إذا قبلتها الدولة العثمانية فان فرنسا تعد باعادة الجزائر إليها [3] وأهم هذه الشروط هى أن عودة الجزائر للسيادة العثمانية ترتبط ببقاء المنطقة الممتدة من حدود تونس حتى سلسلة الجبال المنتهية فى رأس بوجارونى Boujaronni فى يد فرنسا ، وان يصبح ميناء الجزائر تجاريا ، وألا يمتلك الاوجاق سفنا حربية ، وأن تعين الدولة العثمانية واليا على الجزائر لمدة

---

[1] جلال يحيى : المغرب الكبير جـ٣ ص ١٠٤ .

[2] عبد الرحمن الجيلالى : تاريخ الجزائر العام جـ٣ ص ٣٧٩.

[3] كوران : المرجع السابق ص ٣٩ - ٤٠ .

خمس سنوات نظير أن يكون لفرنسا بعض الامتيازات ، واشترطت فرنسا خروجها من الجزائر بتحقيق هذه الشروط. وخلال مناقشة المسألة الجزائرية حدث انقلاب فى فرنسا اطاح بملكها شارل العاشر، مما أخر بحث المسالة الجزائرية لفترة. وفى اعقاب ذلك تغير الموقف الفرنسى حيث ادعى السفير الفرنسى بالآستانة بأنه لاحق للدولة العثمانية فى الجزائر ولم تؤد المراسلات بين الباب العالى والحكومة الفرنسية لأية نتيجة، مما جعل الباب العالى يترك المسألة الجزائرية جانبا خاصة بعد زحف قوات محمد على على بلاد الشام وانشغال الدولة العثمانية بمواجهته وبعد أن استقرت الأمور لفرنسا فى الجزائر اتجهت سياستها نحو الوصول إلى هدفين هما:

١- فرنسة الجزائر سكانا وارضا واعتبارها جزءا لا يتجزأ من فرنسا، وادعاء علماء الجيولوجيا الفرنسيين ان شمال افريقيا كان متصلا بساحل فرنسا الجنوبى منذ القدم [١] .

٢- محاربة الاسلام والعمل على القضاء على اللغة العربية فى الجزائر،واحلال اللغه الفرنسية محلها وجعلها اللغه الرسمية للجزائريين .

٣- حرمان الجزائريين من التعليم واقتصار التعليم على المدارس الفرنسية .

٤- محاولة الفرنسيين اضعاف التقاليد الاسلامية واغرائهم للمراة الجزائرية بتقليد الأوربيات ودعوتهم لها بنزع الحجاب والسفور .

ومع كل الضغوط التى تعرض لها الشعب الجزائرى فقد فشلت محاولات الفرنسيين فى فرنجة هذا الشعب الذى حافظ على اسلامه وعروبته ، كما هبت القبائل للدفاع عن اسلام وعروبة الجزائر تحت قيادة "محى الدين الحسينى" أحد زعماء الأشراف وابنه عبد القادر الجزائرى .

الاحتلال الفرنسى لتونس :

منذ أن احتلت فرنسا الجزائر أخذت تتجه بانظارها إلى تونس، وقد تنازع السياسة الفرنسية فى أول الأمر عوامل رئيسية ثلاثه هى :

١- الاسراع فى احتلال تونس قبل وصول الايطاليين إليها .

٢- رفضها قيام حدود سياسية مشتركة مع الدولة العثمانية التى كانت تحكم طرابلس .

٣- رغبتها فى فرض نفوذها على تونس حتى تتمكن من فرض سيطرتها الكاملة على الجزائر .

ومن المعروف أن دول عدة نافست فرنسا فى التطلع إلى تونس نتيجة للامتيازات التى منحها البايات للدول الأوربية خاصة فرنسا لدرجة أن الباى كان يعرض أموره الهامة على امبراطور فرنسا قبل اصدارها هذا إلى جانب منحه الامتيازات العديدة للفرنسيين داخل بلاده مما اعطى لفرنسا الفرصة للتدخل الفعلى فى شئون تونس [٢] وقد شجع فرنسا على غزو تونس ترحيب بريطانيا بهذا الغزو، وتشجيع المانيا أيضا حتى تصرف انظارها عن المشاكل الأوربية وعن التفكير فى استرداد الالزاس واللورين. ولم يقف أمام اطماع فرنسا فى تونس سوى ايطاليا التى وعدتها فرنسا فى مد يد العون لها فى الحصول على مستعمرات أخرى إذا تخلت لها عن تونس. وقد واتت فرنسا فرصة احتلال تونس عندما توغلت قبيلة تونسية داخل الحدود الفاصلة بين تونس والجزائر، وقامت بمناوشات مع بعض الرعاة. فاعدت فرنسا حملة عسكرية بحجة تأديب القبائل المعتدية وتمكنت من اقتحام الحدود التونسية والتوغل داخلها ونتيجة

---

[١] حلال يحى: المرجع السابق ص١٣١ وما بعدها.

[٢] نيقولا زيادة : تونس تحت الحماية ص٩٥ وما بعدها

لذلك احتج الباى على الغزو الفرنسى لدى الدول الموقعه على معاهدة برلين، وناشدها التدخل لانقاذ تونس، ولكنه لم يجد تأييدا ولا تجاوبا من أحد، وقد تلا ذلك قيام الاسطول الفرنسى بعملية انزال بحرية فى ميناء بنزوت حيث تم انزال جيش قوامه ثمانية آلاف جندى بقيادة الجنرال بريار[1] وأخذ فى التوجه إلى العاصمة حتى وصل إلى قصر الباى واجبره على توقيع معاهدة باردو فى ١٢ مايو ١٨٨١م والتى كان من أهم نصوصها احتلال القوات الفرنسية للمراكز التى تراها صالحة لاستتباب النظام والأمن بالحدود والسواحل. وعلى الرغم من أن تونس كانت تابعة للدولة العثمانية فانها لم تحرك ساكنا، ولم تستطع أن تفعل شيئا حيال ما حدث .

وهكذا بسطت فرنسا نفوذها على تونس، وأخذت تعدل فى نظمها بما يحقق مصالحها، ويكفل لها السيطرة على شئونها، فانتزعت سلطات الباى وحكومته وركزتها فى ايدى المقيم الفرنسى. ولم يقنع الشعب التونسى بما حدث، فقامت الثورة ضد الفرنسيين بقيادة "على بن خليفة" ولكن فرنسا استطاعت السيطرة على الموقف وفرضت حمايتها على تونس بموجب معاهدة "المرسى الكبير" فى يوليو ١٨٨٣ [2] والتى تعهد الباى بموجبها بقبول الاصلاحات الادارية والقضائية والمالية التى تراها الحكومة الفرنسية .

وهكذا سيطرت فرنسا على تونس من كافه النواحى فمن الناحية الاقتصادية سيطرت على مصادر الثروة والاقتصاد التونسى، كما وضعت نظاما جمركيا جعل من تونس سوقا للبضائع الفرنسية، ومن الناحية الثقافية وقفت فرنسا فى وجه اللغة العربية والفكر الاسلامى، واتجهت الى نشر اللغة الفرنسية وتنصير ابناء المسلمين هناك أما من الناحية الاجتماعية فقد عملت فرنسا على تغيير عادات وتقاليد الشعب التونسى وفرنسته، كما بالغت فى الاهتمام برعاياها على حساب المواطنين التونسيين .

واستمرت الاحوال فى تونس على هذا المنوال حتى برز من شبابها من تجاوب مع دعاة الاصلاح فى البلاد على النهج العربى الاسلامى، وكان ضمن هذه الجماعة عبد العزيز الثعالبى الذى يعد من ابرز رجالات الحركة الوطنية فى تونس .

الاطماع الاستعمارية فى المغرب :

منذ أن وطأت أقدام فرنسا فى الجزائر فى عام ١٨٣٠ وهى تتربص ببلاد المغرب. وقد انتهزت فرصة تأييد القبائل المراكشية، وسلطان المغرب لحركة الأمير عبد القادر الجزائرى وبدأت تتحرش بهذه البلاد، كما اجبرت سلطان المغرب على تسريح جيشه من منطقة الحدود، وتخطيط الحدود بين الجزائر ومراكش، واعطاء فرنسا حق الدولة الأولى بالرعاية فى النشاط التجارى بمراكش. وفى اعقاب ذلك ازداد تعرض مراكش للأطماع الأوربية ،حيث كانت المانيا تطمع فى أن تجد لها موطئ قدم فى مراكش مما أدى إلى تنافس حاد بينهما وقفت انجلترا خلاله بجانب فرنسا خاصة بعد عقد الاتفاق الودى ١٩٠٤ والذى تم بمقتضاه اطلاق يد انجلترا فى مصر فى نظير أن تبسط فرنسا سيطرتها على مراكش، مما أزعج الألمان وجعلهم يقومون باتصالات مباشرة مع حاكم مراكش، ومن هنا كانت زيارة الامبراطور الألمانى "وليم الثانى" لميناء طنجة فى عام ١٩٠٥ فى محاولة منه لافساد ما حدث من اتفاق بين انجلترا وفرنسا، وقيامه بالقاء خطاب أوضح فيه ضرورة أن تحافظ مراكش عن استقلالها، وطالب بأن تسير سياسة مراكش مع جميع الدول على مبدأ المساواة المطلقة، كما طالب بعقد مؤتمر دولى لبحث المسألة المراكشية .

---

[1] البشير بن عثمان: اضواء على تاريخ تونس الحديث، تونس، دار بوسلامه، ص١٥

[2] زاهية قدوره: تاريخ العرب الحديث، بيروت ص٤٦٤-٤٦٥.

وقد عقد هذا المؤتمر فى بلدة "الجزيرة الخضراء" بالقرب من جبل طارق، وكانت معظم نتائجه فى غير صالح ألمانيا وانتهى الأمر بهيمنه فرنسا على مراكش فيما عدا منطقة الريف التى حصلت عليها اسبانيا.

وفى اعقاب ذلك حدثت قلاقل فى مراكش استنجد خلالها السلطان عبد الحفيظ بالفرنسيين وقد انتهزت فرنسا هذه الفرصة فارسلت حملة عسكرية إلى مراكش فى عام ١٩١١ بحجة الاستجابة لرغبات السلطان قضت فيها على الاضطرابات، واعلنت سيطرتها على مراكش وبدأت فى تجميع سلطاتها السياسية والعسكرية فى ايدى ممثلها هناك [١] وأصبح السلطان تحت حماية فرنسا الفعلية، وبقيت القوات العسكرية الفرنسية تمارس عملها فى مراكش حتى تم توقيع معاهدة الحماية الفرنسية عليها فى ٣٠ مارس١٩١٢ وبمقتضاها قبل السلطان حماية فرنسا على بلاده، ما عدا منطقة طنجة ومنطقة الريف التى تم تخصيصها لأسبانيا ونتيجة لذلك شرعت فرنسا واسبانيا فى تنظيم امورهما فى مراكش، ولكن الأمور أمامهما لم تكن سهلة حيث قاوم الاهالى الاحتلال الاجنبى لبلادهم سواء أكان هذا الاحتلال فرنسا أم اسبانيا.

الاحتلال الايطالى لليبيا :

بدأت ايطاليا تمهد لحركة الاستعمار بعد تكامل وحدتها السياسية وقد تطلعت فى بداية الأمر فى الاستيلاء علىتونس لقربها من شبه الجزيرة الايطالية، ولكثرة عدد الايطاليين المقيمين بها ولوفرة خيراتها، وبعد أن ضيعت عليها فرنسا هذه الفرصة اتجهت انظارها إلى ليبيا، وأخذت تمهد لنشر نفوذها هناك بشكل واضح وبأساليب عدة نذكر منها.

١- الاكثار من فتح المدارس الايطالية المجانية فى طرابلس وبنغازى لنشر ثقافتها بين الأهالى.

٢- تشجيع الحكومة الايطالية لمواطنيها بالهجرة والاستقرار فى ليبيا.

٣- ارسال البعثات الايطالية إلى ليبيا والتى كان ظاهرها بعثات تعليمية وباطنها لأغراض استعمارية.

٤- سعى الحكومة الايطالية لاقصاء الوالى العثمانى "رجب باشا" المناهض للتواجد الايطالى.

٥- قيام فرع بنك روما فى ليبيا بشراء الأراضى الزراعية من الاهالى.

٦- الدعاية الايطالية المكثفة حول مصالح الايطاليين فى ليبيا عن طريق الصحف والبعثات الدبلوماسية وغيرها .

أما عن الدوافع والاسباب التى عجلت بغزو ايطاليا لليبيا فيمكن حصرها فيما يلى :

- رغبة ايطاليا فى ايجاد مستعمرات لها فى الخارج تجلب لها الخامات وتصدر اليها المصنوعات .
- رغبتها فى غسل العار الذى لحق بها نتيجة لهزيمتها أمام الأحباش فى موقعة عدوة .
- ضعف نفوذ الدولة العثمانية على القبائل الليبية ونفور الأهالى من تصرفات ولاتها .
- عدم معارضة انجلترا وفرنسا فى أن تطلق ايطاليا يدها فى ليبيا.
- زيادة عدد العاطلين فى ايطاليا، وشعور الايطاليين بالنقص ازاء تطور الدول الاوربية الاستعمارية [٢]

ونتيجة لكل ذلك وجهت ايطاليا انذارها إلى الدولة العثمانية فى١٧من سبتمبر ١٩١١ واشارت فيه إلى ما يلى :

---

[١] جلال يحى: المغرب الكبير، الفترة المعاصرة وحركات التحرر ص٩٢٩

[٢] حسن سليمان محمود: ليبيا بين الماضى والحاضر، القاهرة مؤسسة سجل العرب ١٩٦٢ص٩٠

١- نظرا لأن سوء الأحوال فى طرابلس وبنغازى يهدد مصالح ايطاليا فى ليبيا ونتيجة لاهمال الدولة العثمانية لمصالح ايطاليا فى ليبيا وتحريضها على اضطهاد الايطاليين بخاصة والاوربيين بعامة فقد قررت الحكومة الايطالية احتلال طرابلس .

٢- على الحكومة العثمانية القيام بتسهيل مهمة ايطاليا فى احتلال ليبيا خلال ٢٤ ساعة [١] .

وعلى الرغم من هذا الانذار السافر من جانب ايطاليا فقد كان رد الحكومة العثمانية ضعيفا ومتخاذلا حيث تبرات من عرقلتها لمصالح الايطاليين فى ليبيا وأوضحت حرصها على استتباب الأمن والنظام ، وأنها مستعدة لتقديم الضمانات الكافية لحماية الايطاليين هناك إذا لم تلجأ ايطاليا لاحتلال ليبيا مما يعكس لنا مدى الضعف الذى حل بالعثمانيين، وعدم قدرتهم على مواجهة الاخطار المحدقة بالولايات التابعة لهم وفى اعقاب ذلك اعلنت ايطاليا الحرب على الدولة العثمانية، وارسلت قواتها لاحتلال طرابلس والخمس وبنغازى ودرنه متذرعة بأن العثمانيين أرسلوا جنودا إلى برقة لتقويه حاميتها .

وعلى الرغم من محاولات الدولة العثمانية توسط الدول الكبرى فى هذا النزاع، فقد وقفت هذه الدول موقف المتفرج خاصة وان موقفها العدائى من الاسلام كان معروفا، هذا إلى جانب أن لكل من هذه الدول أهدافها الاستعمارية الخاصة، ففرنسا تريد ألا تقف ايطاليا أمام أطماعها فى مراكش، وانجلترا كانت ترغب فى عدم معاكسة ايطاليا لها فى مصر [٢] .

ونتيجة لقيام الاسطول الايطالى بضرب طرابلس ثم احتلال مدينتى بنغازى وطبرق فقد استبسل الشعب الليبى فى الدفاع عن بلاده، وهب العالم الاسلامى فى كل مكان لنصرة اخوانه فى الدين، وخلال ذلك بدأت ايطاليا فى تعزيز قواتها العسكرية، كما هددت بتأليب دول البلقان ضد الدولة العثمانية واحتلال مضيق الدردنيل، مما اضطر الدولة العثمانية إلى توقيع معاهدة مع ايطاليا عرفت باسم معاهدة لوزان تنازلت بموجبها لايطاليا عن كل حقوق لها فى ليبيا، مما جعل الشعب الليبيى يواجه مصيره وحده أمام الضربات الايطالية ويشعل حركة نضاله الوطنى ضد الاستعمار الايطالى بزعامة السنوسيين الذين خاضوا حربا اشبه ما تكون بحرب العصابات مما أنهك قوى الايطاليين .

سيطرة بريطانيا على امارات الخليج وعدن والعراق :

أخذ الانجليز منذ أواخر القرن الثامن عشر فى الاهتمام بمنطقة الخليج ومحاولة السيطرة عليه عن طريق عقد المعاهدات مع شيوخه وحكامه، ومن أمثلة تلك المعاهدات المعاهدة التى وقعها سلطان مسقط مع بريطانيا فى عام ١٧٩٨ والتى تنص على عدم سماح أهل مسقط للفرنسيين بالنزول إلى بلادهم فى حالة حدوث حرب بين القوات البريطانية والفرنسية [٣] كما اتخذ الانجليز فى مقاومتهم للقرصنة وسيلة لعقد المعاهدات فوقعوا معاهدة مع القواسم فى رأس الخيمة تتضمن عدم مهاجمتهم للسفن الانجليزية، كما فرضوا حمايتهم على أهم المشيخات العربية فى الخليج وهى مسقط والبحرين والكويت، وعقدوا مع حكامها معاهدات صداقة واتفاقات تجارية كان الهدف منها التمهيد لتوطيد نفوذهم فى هذه المناطق [٤] يضاف إلى ذلك أن ظهور النشاط الألمانى فى هذه المناطق كان له أكبر الاثر فى تدعيم النفوذ

---

[١] جلال يحى: العالم العربى الحديث، القاهرة، دار المعارف ص٣٧٨.

[٢] محمد فؤاد شكرى: ميلاد دولة ليبيا الحديثة ص١٣١-١٣٢.

[٣] أحمد مصطفى أبو حاكمة: تاريخ شرقى الجزيرة العربية فى العصور الحديثة، القاهرة، ١٩٦٨ص١٨١

[٤] صلاح العقاد: التيارات السياسية فى الخليج العربى ص٦٦ وما بعدها

الانجليزى فى منطقة الخليج وبالنسبة لمحاولات الانجليز السيطرة على الجنوب العربى فقد لمس الانجليز اهمية عدن وغيرها.من موانى الجنوب العربى التى تخدم الملاحة الموصلة إلى الهند خاصة بعد الحملة الفرنسية على مصر التى هدف منها بونابرت إلى تهديد مصالح بريطانيا فى الهند. ونتيجة لذلك أسرعت بريطانيا فى عام ١٧٩٩ باحتلال جزيرة "بريم" الواقعة فى مدخل البحر الأحمر من الجنوب والقريبة من عدن ليتحكموا فى مدخل هذا البحر كما أسسوا مركزا تجاريا لهم فى " المخا " .

وبالنسبة لعدن فقد عقدت انجلترا مع سلطانها معاهدة صداقة وتجارة، ثم استغلت فرصة جنوح احدى سفنها بالقرب من شواطئ عدن وادعت ان هناك اعتداء وقع على بحارتها، وارسلت قواتها لاحتلال عدن، وبعد مقاومة عنيفة من أهلها تمكن الانجليز من احتلالها فى ١٦من يناير ١٨٣٩ بعد قصف بحرى شديد، واعتبروها جزءا من املاكهم لا يمكن التغاضى أمام أى اعتداء عليه [١] .

وبالنسبة لاطماع بريطانيا فى العراق فقد ادرك الانجليز منذ احتلالهم للهند فى عام ١٧٤٨م أهمية موقع العراق كطريق للمواصلات البريطانية ونتيجة لذلك أخذت بريطانيا فى اقامة المراكز التجارية فى العراق، فبدات شركة الهند الشرقية البريطانية فى انشاء خطوط بريدية منتظمة عبر العراق، وكان البريد ينقل بواسطة السفن البحرية من بومباى إلى البصرة ومن هناك يمر بمدن بغداد فحلب حتى يصل الى استانبول بطرق الدواب عن طريق البر ومن ثم اهتم الانجليز بأن تكون لهم اليد الطولى فى العراق، وبألا يسمحوا لأى قوى اخرى بمنافستهم فيه، ومنذ عام ١٧٦١ تحول نشاط المركز الرئيسى للتجارة الانجليزية فى الخليج إلى البصرة وأخذت تحصل من وراء ذلك على نفوذ سياسى فى العراق خاصة بعد ان تمكن الانجليز من توطيد صلاتهم برؤساء العشائر فى العراق، وبالحكام العثمانيين هناك، وبهذه الطريقة أمكن لبريطانيا بسط نفوذها على العراق هذا فى الوقت الذى كانت فيه المانيا تتطلع إلى مد نشاطها إلى ممتلكات الدولة العثمانية، فعقدت مع السلطان العثمانى عبد الحميد اتفاقا يقضى بانشاء خط حديدى من برلين إلى بغداد مما جعل الانجليز يضعون كل العراقيل امام هذا المشروع حتى قامت الحرب العالمية الأولى وأسرع الانجليز بارسال قواتهم العسكرية من الهند لاحتلال العراق، ومع نهاية الحرب العالمية الأولى كان العراق كله فى قبضة الانجليز يدبرون شئونه، واستمرت الأمور على هذا المنوال حتى جاءت قرارات مؤتمر سان ريمو san Remo لتضع العراق تحت الانتداب البريطانى، وتعلن سلخه من املاك الدولة العثمانية .

ونتيجة لسياسة كبت الحريات التى اتبعها الانجليز فى حكم العراق واستغلالهم لموارده وربطهم العراق بالقوانين الادارية التى يتبعونها فى الهند، وفرضهم نظما لا تتفق مع اوضاع العراق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية هب الشعب العراقى للدفاع عن بلاده ، وبدأت الاضرابات والمظاهرات تعم كافة انحاء العراق ضد الحكم الانجليزى، كما بدأت بواكير الحركة الوطنية فى الظهور .

وهكذا يتضح مدى استغلال الاستعمار الأوربى لضعف الدولة العثمانية، فزحف على العالم العربى مشرقه ومغربه حتى تمكن من توطيد اقدامه فيه لفترة ليست بالقصيرة .

الفتن الطائفية فى لبنان :

تعرضت بلاد الشام بصفة عامة، ولبنان بصفة خاصة لدسائس الدول الاستعمارية المتصارعة على النفوذ فيها خاصة من فرنسا وبريطانيا فقد اعتمدت فرنسا على الموارنة الكاثوليك فى جبل لبنان لتحقيق أطماعها وعمدت على تشجيع المؤسسات التنصيرية الفرنسية لتمد نشاطها على كافة المجالات

---

[١] جورج كيرك: موجز تاريخ الشرق الأوسط -ترجمه عمر الاسكندرى القاهرة ١٩٥٧ص١٢٢

المؤثرة على حياة الشعب اللبنانى مما أدى إلى زيادة نفوذها، وبلغ من الصلة الوثيقة بين الموارنة والفرنسيين أن تعين شيخا مارونيا نائبا لقنصل فرنسا فى بيروت عام ١٦٥٥ ثم قنصلا لها عام ١٦٦٢ [١] كما اعتمدت بريطانيا على الدروز لتعضيد نفوذها فى لبنان واستطاعت اثارة روح التنافس بينهم وبين الموزانة كل ذلك أدى إلى اشاعة الاضطرابات والفتن فى لبنان وأدى إلى تفاقم الخلافات الطائفية التى راح ضحيتها العديد من الضحايا وقد بدأت الاضطرابات بهجمات قام بها الدروز فى عام ١٨٦٠ على جماعات من النصارى فى جنوب لبنان ثم مالبثت أن توسعت حتى أصبحت فتنة شاملة [٢] شملت كافة انحاء سورية ولبنان، وزاد من وطأة الفتنة قيام عملاء فرنسا وبريطانيا بالدس بين الطرفين حتى حدثت المذابح التى راح ضحيتها الآلاف، ونتيجة لذلك انزلت فرنسا قواتها فى بيروت فى اواخر أغسطس ١٨٦٠ بحجة ايقاف الأحداث الدامية هناك وبعد أن هدأ الموقف تلكأت فرنسا فى الانسحاب،حتى اضطرتها الحكومة الانجليزية الى الانسحاب، وتشكيل لجنة دولية لتقصى الحقائق. وبعد أن وصلت اللجنة إلى المنطقة وضعت تقريرا فى عام ١٨٦١ يقضى بمنح الحكم الذاتى لمنطقة لبنان، وأن يكون على رأسها أحد المسيحيين يعين من قبل الدولة العثمانية بالتشاور مع الدول الاوربية وقد وافقت الدولة العثمانية على ذلك التقرير، وتم تنظيم لبنان على أساس طائفى بحيث يساعد الحاكم ١٢ شخصا منهم أربعة موارنه، وثلاثة دروز ، وثلاثة من الروم الارثوذكس والكاثوليك، وسنى واحد وشيعى واحد، كما تم تقسيم لبنان إلى سبعة مديريات واستمر الحال على ذلك حتى قيام الحرب العالمية الأولى [٣]

ومما سبق يتضح أن ضعف الدولة العثمانية أدى إلى تكالب الاستعمار الأوربى على الوطن العربى فى محاولة منه لاقتسام املاك الدولة العثمانية فاستولت بريطانيا على مصر والسودان وامارات ومشيخات الخليج وجنوب اليمن، واستولت فرنسا على الشمال الافريقى فى معظمه فاحتلت الجزائر وتونس ومراكش، وتحكمت ايطاليا فى ليبيا كما دست الدول الاستعمارية نفوذها فى بلاد الشام فى محاولة للنيل منه فبثت الفتن الطائفية بين افراده حتى تتمكن من شق صفوفه. هذه كانت صورة العالم العربى قبيل قيام الحرب الأولى .

---

[١] رأفت الشيخ: مرجع سابق ص٣٧٨

[٢] جورج انطونيوس: مرجع سابق ص٥٣

[٣] الشيخ: مرجع سابق ص٣٨٠-٣٨١